

الإنسانية المتحولة وإيتيقا الخلق الإلهي

Transformed Humanity and the Ethics of Divine Creation

هشام معافة¹*¹ جامعة قسنطينة 2 - عبد الحميد مهري، hichem.maafa@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/04/25

تاريخ القبول: 2023/12/27

الملخص:

أخلاق الخلق الإلهي مصطلح حديث استخدمه البيولوجي "اليكس مورون" للتعبير عن توجه محدد نحو الطب والتحسين، وبصورة خاصة نحو تدخل الإنسان الواسع في النظام الطبيعي، وهو تدخل يدعو بالخلق الإلهي، فهدف هذه الأخلاق مرافقة التقدم التكنولوجي في المجال البيوي بغير زيادة وتحسين قدرات الكائن الإنساني، وهي تقترح تأطير هذه التطورات بمعايير أخلاقية براغماتية. تعبر إيتيقا الخلق الإلهي عن نظرة معتدلة اتجاه نتائج هذا التقدم التقني الهائل، فهي تسعى إلى الحفاظ على مكتسبات التطورات البيوتكنولوجية في المجال البيوي والانفتاح عليها انفتاحاً حذراً يحافظ على مكتسبات الطبيعة الإنسانية دون إعاقة عجلة التطور. وعليه تعتبر إيتيقا الخلق الإلهي اتجاه معتدل بين توجهين مغالين في نظرهما، بين تفاؤلية الإنسانية المتحولة التي تدافع عن التحكم اللا مشروط واللا محدود في الحياة، وتشاؤمية الاتجاه المحافظ برفضه المطلق لكل رغبة في تعديل الحياة والمساس بقدسية الطبيعة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية:

الإنسانية المتحولة؛

البيوتكنولوجيا؛

البيوي؛

أخلاق الخلق الإلهي؛

ABSTRACT:

Keywords:

transhumanism,
biotechnology
biomedical,
Ethics demiurgic,

The term 'Ethics of Divine Creation' is a contemporary concept introduced by biologist Alex Mauron to denote significant human intervention in the natural order, a process he labels as divine creation. This ethical framework aligns with technological advancements in the biomedical sphere aimed at enhancing human capabilities. It proposes the establishment of pragmatic ethical guidelines to regulate these advancements. The perspective of divine creation espouses a balanced outlook toward the outcomes of immense technological strides. It aims to safeguard the achievements of biotechnological progress within the biomedical field while cautiously embracing them, preserving the inherent aspects of human nature without hindering the course of development. This ethical stance represents a moderate approach between two extreme viewpoints: the unbounded optimism of transformed humanity advocating unrestricted control over life, and the conservative approach adamantly opposed to any alteration of life and the sanctity of human nature."

* هشام معافة

مقدمة:

تشهد الإنسانية اليوم ثورة جديدة تجري تفاصيلها في المخابر، ثورة صامتة لا تزهق فيها أنية روح، ومع ذلك فهي ذات دلالة عميقة وأثر كبير لمستقبل الإنسانية ومصيرها. إذ يتحدث عدد من العلماء عن القضاء على الموت عبر إعلاء قدرات الإنسان فوق قدراته الطبيعية، هذه الثورة يقودها اليوم اتجاه عَرَفَ انتشارا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم الإنسانية المتحولة "Le Transhumanisme"*. لقد أضحى الإنسان مع مجيء هذا التيار قادرا على تغيير طبيعته الخاصة متوسلا بما توفره التقنو-علمي من تكنولوجيات التلاعب بالحياة، وعلى حد تعبير "لورون الكسندر" "Lourant Alexandre" (1960-) تحول حلم الإنسانية المتحولة خلال هذا العصر إلى حقيقة طبية. وهي الفكرة ذاتها التي وصفها فرنسيس فوكوياما "Francis Fukuyama" (1952-) في مقال صدر سنة 2004 باعتبارها الفكرة الأكثر خطورة على تاريخ الإنسانية أثارت مخاوف كبيرة ومتزايدة من مخرجات التطور التقني.

هل نشهد نهاية الإنسان وبداية عصر جديد يسوده فاعل بشري مهجن إنسان-آلة، فاعل مُتأَلَّه يخلق هويته ويجسد حلم الإنسانية منذ الجلاجامش، فاعل أزلي قوي سعيد لا يعرف أي صورة من صور المرض والضعف والهوان؟ و هل سيدنو عصر الآلة كما صورها فيلم "المصفوفة" ليعلن فناء النوع البشري المقيد بطبيعته بوصفه كائنا بسيطا وبائسا، ليستحيل إلى مجرد مصدر للطاقة تستغله الآلة الواعية بأبشع الطرق؟ هل آن الأوان ليُخَلِّي الإنسان مكانه أمام فاعل جديد لم يعد إنسانا؟ ألا نخاطر على المستويين الطَّبي والعلمي عندما نُسلِّم أنفسنا إلى التَّحكم الجيني الوراثي الذي نرثه دون أن نتمكن في الوقت نفسه من عكسه؟ هل سيتوجه تحسين الإنسانية إلى الأحسن أم إلى الأسوأ، أعني التَّشوه والمسوخ؟ لا مرأى أنَّه إذا نظرنا إلى المسألة من الناحية الدينية التقليدية نرى أن كل تحكم في الحي هو تدنيس للجسد، لأن الله وحده الذي يحتكر هذا الفعل، وإذا ما وسعنا الأمر ليشمل المؤيدين -مؤمنين كانوا أو لا- لتقديس الطبيعة البشرية (الجينوم البشري) سنفهم بأن الإقدام على تعديل الطبيعة البشرية ليس إلا سبيلا لتهديم الأخلاق الكونية، فالأخلاق ليست سوى احترام السِّمات الطبيعية المشتركة في الإنسانية، وعدم احترامها، أي الرغبة في تعديلها هو ببساطة تهديم الأسس الطبيعية للأخلاق، ومن ثم كل تعديل لهباتنا البيولوجية يُعلن بتعبير "فوكوياما" عن نهاية الإنسان.

فهل ينبغي غلق الباب أمام فتوحات العلم المستقبلية لخير الإنسانية، وعلى نحو خاص ضد الشيخوخة والأمراض الوراثية المستعصية؟ ألا يفترض تطور البحث العلمي الجرأة والمخاطرة أكثر من الالتزام الحرفي بمبدأ الحذر والحيطه؟ ولو استسلمنا لمثل هذا المبدأ المنحرف لما تداولنا أبسط الأدوية وأكثرها انتشارا؟ أليس المخرج في تأطير التجربة بشكل عقلائي وحكمة على المستوى الطبي بالقدر نفسه على المستوى الأخلاقي لا منعها ومناهضتها؟ ألا تكمن المخاطرة الحقيقية اليوم -وهذه عبارة "نيك بوستروم" Nick Bostrom (1973-) في خاتمة قصته الخيالية عن "التنين المستبد"- هي ألا نخاطر مطلقا؟

أولاً: الإنسانية المتحولة كفلسفة لموت وتمديد الحياة:

قبل أن نستبق الحديث عن فلسفة الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية من المفيد أن نشر إلى أن غرضنا من هذا المقال هو مقارنة الأخلاق المعاصرة من خلال التعرض لتوجه جديد عُرف بأنه الأكثر اعتدالاً من بين التوجهات المغالية، إن لم نقل متطرفة في موقفها، فقد عُرفَ دعائه بأخلاقيهم المعتدلة التي يُطلق عليها: ايتيقا الخلق الإلهي *Ethique démiurgique*، مصطلح استخدم من طرف البيولوجين ليعبر عن توجه محدد نحو طب التحسين، أو عن تدخل الإنسان في النظام الطبيعي الذي هو بمثابة خلق إلهي، وهو اتجاه يروم الحفاظ على مكتسبات التطورات البيوتكنولوجية في المجال البيوطي وتطبيقه المتزايد في تحسين ملكات الكائن الإنساني، إذ تقترح ايتيقا جديدة هي ايتيقا الخلق الإلهي لتأطير تطورات العلوم البيوطبية عبر الاستعانة بمعايير أخلاقية براغماتية، على نحو تقف هذه الأخلاق على طرفي نقيض مع التخوف من التقنية. وتأتي هاته الأخلاق المعتدلة كوسط بين اتجاهين مُغالين في نظرتهما للتَّحكم التقني في الحياة، عُرف الأول بتوجهه المحافظ ويطلق على مثليه اسم البيومحافظين *bio conservateur*، كما عُرفَ عنه مُعاداته لكل رغبة في تعديل الحياة. ويقابله في الضفة الأخرى اتجاه مُغالٍ في توجُّهه وهو ما يعرف اليوم بالبيوتقدميين *bio progressistes*، دافع دعائه عن التَّحكم اللا مشروط واللا محدود في الحياة. نعد الآن إلى موضوعنا الرئيس، وسنشرع في تحليله من خلال عرض موقف كل اتجاه على حدا، إذ يصف "لوك فيري" "Luc Verry" (1952 -) في كتابه "ثورة الإنسانية المتحولة" "La Revolution transhumaniste" هذا التحول نحو فلسفة الانسان الجديد بالثورة التي قلبت أساسيات الطب التقليدي¹ وقادت إلى استبدال الأنموذج "العلاجي" "Médecine Thérapeutique" بالأنموذج "التحسيني" "Médecine Augmentative"، والفرق بينهما هو الفارق بين السَّوي والمرضي، فهذا الأخير أضحى متجاوزاً بفضل تضافر التكنولوجيات الجديدة التي تدعى بالـ (NBIC): النانوتكنولوجيا والبيوتكنولوجيا والمعلوماتية (قواعد البيانات الكبرى Big data وأدوات النيت Internet des objets) والعرفانية Cognitivisme (الذكاء الاصطناعي الروبوتيكي Robotique) - اكتشافات بقدر ما هي راديكالية فهي جد متسارعة، من الراجح أنها ستغير الطب والاقتصاد في الأربعين سنة القادمة أكثر مما فعلته في الألفيات الأربعة الماضية، فلم يعد الأمر يتعلق بمجرد ترميم بسيط ولكن بتحسين الإنسان والعمل على إعلاء قدراته، لكن لا ينبغي أن يتسلَّل إلى أذهاننا أدنى شك كما يقول "لوك فيري": "في" أن هذا الانقلاب في المنظوريات، كان، منذ بضعة سنوات، أمراً حاصلاً بالفعل دون أن نلمحه ونفكر فيه، مثلاً، لقد تطورت الجراحة التجميلية، خلال القرن الماضي، تزامناً مع تزيين الجسد الإنساني، لتحقيق هدف، ليس هو العلاج ولكن التحسين، إذا علمنا أن القبح ليس مرضاً والجسد المعيب مهما كان التعريف الذي نقدمه له لا يمت إلى المرض بأية صلة (بالرَّغم من انه يكون أحياناً أثراً له). والشيء نفسه يقال على حبوب الفياغرا Viagra والبعض الآخر من المخدرات المقوية Drogues fortifiantes التي تستخدم، هي الأخرى بغرض تقوية العضوية الإنسانية².

من أكثر المشكلات إثارة للجدل ضد الإنسانية المتحولة هو مشروعها لتمديد الحياة والقضاء على الشيخوخة بالمضبي بمنطقهم التحسيني أو الإعلائي إلى النهاية واعتبارهما، أي الشيخوخة والموت، إذا لم تكن أمراضاً، هي على

الأقل كآلام Maux مماثلة للأمراض، آلام ينبغي على الطب، إذا ما سمحت التكنولوجيات الجديدة، أن يستهدف اجتثاثها بقدر الإمكان. ووجه الاعتراض أن الموت والشيخوخة هي بالنسبة للكائنات الصغيرة الفانية ذات فائدة عظيمة من المنظورية الداروينية حيث لا يبق للفرد الشيء الكثير ليفعله على وجه البسيطة بمجرد أن يُورث جيناته. هذا ما يدفعنا إلى بحث أهم مشكلة داخل مشروع الإنسانية المتحولة وهو القضاء على الشيخوخة وتمديد الحياة. تعد مسألة تمديد الحياة والخلود واحدة من الموضوعات المركزية في فلسفة الإنسانية المتحولة، فالكثير من المؤسسات المنجذبة حول الحركة تجعل من تمديد الحياة هدفها الأول مثل: extropy، life extension foundation، institute، singularity institute for artificial intelligence، إن البحث عن الخلود هو الهم الأول لمفكري الإنسانية المتحولة، فالموت برأي "نيك بوستروم" Nick Bostrom لا ينبغي أن نفحصه كمشكلة من وجهة نظر وجودي لأن الأمر يتعلق بالأحرى بمشكلة تكنولوجية بسيطة تحتاج إلى حل. وإذا كان تمديد الحياة يشكل أساسا لسيروية التحول الذاتي للإنسان، فحتى يكتمل الأخير ليتحول إلى ما بعد إنسان يميز ممثلوا الإنسانية المتحولة بين طريقتين مختلفتين ومتكاملتين: طريق الذكاء الاصطناعي أو التفرد (الطريق البيولوجي):

يعتمد الطريق الأوّل على الروبوتيك والذكاء الاصطناعي لخلق آلات جديدة مزودة بحساسية ووعي يمكنها من خلافة الكائن الإنساني. والبحث عن الخلود في هذا الطريق يمر بتحويل جذري للقوام الجسدي، وعبر تحميل الروح داخل آلة واعية يصير الإنسان خالدا. هذه الأطروحة هي أقرب إلى روايات الخيال العلمي. أما الطريق البيولوجي الأكثر صلاحية فيعتمد على ما وصلت إليه تكنولوجيات الحي (بيوتكنولوجيا) وعلم الوراثة والنانوتكنولوجيا وعلم الأعصاب لتمديد الحياة³. من رواد هذا الاتجاه "أوبري دو غاي" Aubry De Gey (1963-) مختص في بيولوجيا الشيخوخة Bio gérontologie طور مشروعا تحت اسم SENS "استراتيجيات هندسة الشيخوخة" يهدف إلى وضع إستراتيجية غرضها إصلاح الأنسجة التي أفسدت الشيخوخة لتمديد الأمل في الحياة، كما أسهم في إنشاء مؤسسة تمنح جائزة موجهة إلى تتمين البحوث في بيولوجيا الشيخوخة بمكافأة الباحثين الذين ينتجون فئراناً تحطم الأرقام القياسية في تمديد الحياة. يعتقد "غاي" أن التقدم في فهم والسيطرة التقنو علمية على الشيخوخة يجعلنا نقول إن الإنسان الذي سيعيش 1000 سنة قد ولد الآن.

ولئن لم تكن فكرة موت الموت قد رأت النور إلى يومنا هذا، فإن فكرة تمديد الحياة بصورة معتبرة هي كل شيء عدا أن تكون فكرة علمية. لا وجود لحد الآن أي تقدم فعلي في هذا الميدان، بالرغم من أن البحث يتقدم في المقابل على بعض الفطريات Champignon ودبابات الخلد Drosophiles. بيد أن استخدام الخلايا الجذعية والتطورات في مادة التهجين والطب الترميمي يمكن أن تسمح يوما ما قريبا بترميم الأعضاء المتوقفة أو الهرمة. يبقى المخ العضو الذي يستعصي على التجديد، بيد أن تطور العلوم والتكنولوجيا كان جد متسارع ومدهش منذ خمسين سنة حيث أن استبعاد هذه الإمكانيات، بصورة مسبقة، ليس في الواقع إلا أيديولوجيا⁴. يقلب أنصار الإنسانية المتحولة ثقل الحجة: في الواقع، من بمقدوره الادعاء جديا، نظرا للاكتشافات التي تحققت في هذه المجالات منذ أن رأت بنية

L'ADN النور سنة 1953 من طرف واتسن "وكريك"، بان تراجعاً معتبراً لنهاية الحياة مستحيل على نحو مطلق أو نهائي؟ الحقيقة إننا لا نعلم شيئاً، ولكن العلماء يعملون على الأمر، ولأن البحث حول الخلايا السرطانية، التي تقتلنا، وهنا المفارقة، لأنها لا تموت، يفتح هو أيضاً منظوريات جديدة للسيطرة على الزمن والكرونو بيولوجيا، منظوريات يمكن أن تظهر بأنها واعدة - هذا ما يدفعنا، حتى وإن بقينا حذرين، إلى التفكير منذ الآن في النتائج المتوقعة للزيادة المعبرة في الحياة الإنسانية.

إن حماس الإنسانية المتحولة والمدافعين عن التقنية غير محدود، حتى وإن سلم دعاها بأخطار استخدام تكنولوجيات التحسين وضرورة تحديد واستباق مخاطرها فإن هذه التكنولوجيات تقدم امتيازات هائلة للإنسان المعدل في المستقبل. يقوم برنامج الإنسانية المتحولة على حرية الفرد للتحويل الذاتي، وينتهي يوماً ما إلى خلق ما بعد إنسان. بهذا المعنى يصير التقدم التقني من وجهة النظر هذه دوغمائية دينية ذات طابع علمي، وتصير الإنسانية المتحولة اذاك يوتوبيا تقنو-علمية أو دين تقدم يقوم على التقنية وفكرة إعادة تشكيل الطبيعة الإنسانية.

مهما كان النقاش الأخلاقي حول التحويل التقنو-علمي للإنسان وتمديد الحياة، فمن الصعب جداً التخلي عن إمكانات التكنولوجيا الجديدة، وهو الانطباع الذي تركته قراءة "جون نوال ميسا" لشهادات خبراء في إطار تحضيرهم لتقرير حول طب التحسين. إن أغلب العلماء الذين وجهت لهم الأسئلة لا يهتمون بالإمكانات المستخدمة لأغراض التحسين، أدوية أو تكنولوجيات كانت تستخدم في البداية للعلاج، لكنهم مقتنعون جميعهم أن استخدامها لغرض التحسين هو أمر لا يمكن تجنبه.

وإذا كان الإنسان قد دافع لوقت طويل عن فكرة أن التفلسف هو أن نتعلم كيف نموت "Philosopher c'est apprendre à mourir" فلان الشيخوخة اعتبرت إلى اللحظة الراهنة كسيرورة لا يمكن تجنبها، ولكن إذا أمكن للتكنولوجيا البيوطبية إبطاء هذه السيرورة في المستقبل القريب أو البعيد، فإن سلوك الإنسان اتجاه الموت سيتطور حتماً. وإذا كانت هذه التكنولوجيات والأدوية الفعالة والصالحة لتمديد الحياة متاحة فلا يمكننا تجنب استخدامها خصوصاً في المجتمعات الديمقراطية، حتى وإن عارضنا استخدامها سيجد الأفراد طرقاً جديدة لتحويل المخطور. هذا ما أكدته "وليام غيبس" قائلاً "يجد الشارع استخدامه الخاص لكل شيء". ستصبح الأدوية الموجهة إلى علاج أمراض الشيخوخة مستخدمة لتمديد الحياة. وخلال هذه الأطروحة عن انتقال محتوم من العلاجي إلى التحسيني سيخضع الإنسان إلى تحول يمس الجسد والروح، وتمديد الحياة ليس إلا وجهاً واحداً من أوجه هذا التحويل. سواء هرم أم لا لقد أضحى الوجود الإنساني ميدان لعب التقنو-علمية بامتياز⁵.

إن مسألة تمديد أو إطالة الحياة تطرح جملة من الأسئلة التي ينبغي أن نشعر في تأملها: حتى إذا سلمنا بترك المشكلات الديموغرافية الواضحة جانباً، الاقتصادية أيضاً أو الاجتماعية، ينبغي علينا أن نستأنف السؤال الذي طرح قبلًا في أساطير وخرافات جلجامش، اسكليبيوس Asclépios أو سيزيف Sisyphe، والوعد المسيحي الأعظم: هل ستكون لدينا الرغبة، نعم أو لا، في أن نعيش عدة قرون كما وعدنا دعاة الإنسانية المتحولة ببلوغه يوماً ما؟ هل سنود فعلاً الولوج إلى شكل ما من الخلود "الواقعي"، بحيث لا تطالنا الموت إذاك إلا من الخارج، نتيجة لحادث،

جريمة قتل أو انتحار؟ سيأتي زمن، وهذا نص لـ"لوك فيري" يردد من خلاله موقف صديق له هو "جون ديدي فانسون" Jean- Didier Vincent (1935-)، واحد من أكبر العلماء الفرنسيين في البيولوجيا، أين "لا نموت البتة إلا على مثال طقم الشاي الخاص بالجدّة: إنه ينتهي دائما بالتصدع أو الانكسار لكن سهوا فحسب". ماذا نفعل في مثل هذا الموقف، إذا كنا خالدين (تقريبا)؟ هل ستظل لدينا الرغبة في العمل، أن نستيقظ صباحا للذهاب إلى المصنع أو المكتب؟ ألا يتغلب علينا الضجر والكسل؟ ما الذي يبقى لنا أن نتعلمه بعد مرور عشرات السنين الطويلة من الوجود؟ هل تبقى لدينا الرغبة في انجاز أشياء كثيرة، هل سنواصل العمل بإتقان؟ ألا تصير قصص حبنا مضجرة؟ هل سنرغب، أو هل يمكننا مع ذلك الحصول على أولاد؟ إن الكتاب أو الفلم أو قطعة الموسيقى التي لم ليست لها نهاية لا معنى لها مطلقا. هل سنتوجه، بالرغم من ذلك، إلى هاته "الحياة بلا نهاية" التي أراد أن يحصل عليها، من قبل، ملك Uruk بأي ثمن، في متن النص الأول الذي كتب في تاريخ الإنسانية⁶.

كل هذه الأسئلة تضعنا أمام المشكلات التي خلفها مشروع الإنسانية المتحولة، وهي مشكلات باتت تؤخذ اليوم على محمل الجد خصوصا في مواجهة هذا المد البيوتكنولوجي الذي ما فتئ يغير حياة الإنسانية ليقبلها رأسا على عقب. وفي مقابل هاته الفلسفة الجديدة التي يعتبرها الأغلبية لا مسؤولة ظهر اتجاه آخر يكن لها العداء تحت اسم البيومخافطين ويعد "مايكل صندل" Michel Sandel (1953-) من أهم ممثليه، فما هي أهم اعتراضاتهم الموجهة لهذه الحركة؟

ثانياً: تقديس الطبيعة الإنسانية معياراً أخلاقياً "مايكل صندل أنموذجاً":

لا نماري في كون كل تحكم تقني في الحي هو من منظور ديني تقليدي تدنيس، وحده الله أو الآلهة التي تحتكر مثل هذه القدرة، وإذا ما وسعنا هاته المنظورية على المؤيدين لها مؤمنين كانوا أم لا، أي لتقديس حرمة الطبيعة البشرية والجنوم الإنساني، يتبدى الإقدام على تعديل الطبيعة الإنسانية كأقصر طريق نحو تهديم الأخلاق الكونية⁷، لجهة أن هذه الأخلاق، من منظور المحافظين التقليديين، لا تتجذر في أي مكان سوى تقدير السّمات الطبيعية المشتركة بين الإنسانية. وكل إساءة لها أو عدم احترامها بالرغبة في تعديلها هي ببساطة تهديم الأسس الطبيعية للأخلاق. هذا هو المعنى العميق لعبارة "فوكوياما" نهاية الإنسان؛ فكل تعديل للهبات البيولوجية الفردية يمثل تهديدا للنوع الإنساني كنوع أخلاقي.

ينظر "فرنسيس فوكوياما" إلى "مايكل صندل" كواحد من الفلاسفة الأمريكيين الضالعين في هذا المجال، ليس فقط في أمريكا بل في العالم ككل. عرض الأخير موقفه من الإنسانية المتحولة في كتابه الموسوم بـ"الكمال أمام المحاكمة: الأخلاق في عصر الهندسة الوراثية" "La Perfection en procès : l'éthique à l'âge de l'ingénierie génétique"، في متنه أبدى اعتراضه على الانتقال من أنموذج الطب العلاجي إلى الطب التحسيني، وكثيرا ما كان يعرج على نقد مخرجات منطق الزيادة في القدرات الإنسانية على نحو خاص في الرياضة، وبشكل خاص في حالة المنشطات Dopage، إذ لن يبق من جانبنا أي إعجاب وتقدير للرياضيين إذا توقفت انتصاراتهم يوما ما على التحكم الجيني، وعلى حد قول صندل ذاته: "مع تعاظم دور الإغلاء يتلاشى إعجابنا بانتصارات الرياضيين، أو لنقل، تتحول

انتصارات اللاعبين إلى انتصارات صيادلتهم⁸. وأكثر ما استرعى اهتمامه هو مسألة تحسين النسل Eugénisme، وجل محاولته كانت تصب في التقليل من التمييز بين تحسين النسل الحرّ/ الإيجابي الذي يُطالب به أنصار الإنسانية المتحولة وتحسين النسل المؤسّساتي Etatique (النازي) Nazi المبيد Exterminateur خلال ثلاثينيات القرن الماضي، سواء كان الاختيار مفروضاً من طرف دولة شمولية أو اختيار حرّ من طرف الأفراد، فلا يُغيّر في الأمر شيئاً، ففي الحالتين تمّ تشييء الكائن الإنساني وخصوصاً الطفل الذي سيولد، لقد أضحي سلعة أو موضوعاً مُشكّل من طرف إرادة الوالدين. وبصحبته، أي "صندل"، نقف على حقيقة أن مع الإنسانية المتحولة ننتقل من أخلاق العرفان لهباتنا إلى أخلاق السّيطرة المطلقة على العالم الخارجي بل والذات من طرف الإنسان البروميتي. ولنشير هنا إلى أن مفهوم المعطى أو الهبة Donne لا يعبر ضرورة عن توجه ديني باعتبار أنها منحة من الله -إذا كنّا مؤمنين- أو من الطبيعة -إذا لم نكن مؤمنين-، وما يهم في هذا السياق في كلتا الحالتين ثمة مجال للتعالي، أو لمبدأ هبة خارجية تتعالى على الإنسان، وإذك تسرق الإرادة البروميتية بسلوكها ثلاث قيم أخلاقية أساسية لتنظيم الحياة المشتركة: هي "التواضع" "L'humilité" و"البراءة" "L'innocence" (التي تزول أمام توسيع فاحش لمسؤولياتنا) و"التضامن" "Solidarité". وهذه النقاط الثلاث ضرورية يستند إليها نقد صندل الغطرسة المرتبطة بالمشروع البروميتي الممثل في صناعة كائنات إنسانية متحولة أو ما بعد إنسانية، وفي هذا المعنى يقول صندل: "التواضع" أولاً: إذا كانت الثورة الجينية تفرض إعجابنا بطابع الهبة -ما وهبتنا الطبيعة من قدرات وخصائص الإنسانية- فإنها تحوّل على نحو جذري ثلاث سمات جوهرية لطبيعتنا الأخلاقية: التواضع والمسؤولية والتضامن.. فبمجرد أننا نقلق على أولادنا، ولا يمكننا إلى اللحظة اختيار نوع الأطفال الذين نريدهم، فإننا نُعلّم الوالدين فن الانفتاح على ما هو غير مرغوب ضرورة. هذه القابلية للانفتاح تستحق أن نشجعها ليس في إطار العائلة فحسب ولكن في العالم الخارجي ككل. فهي تدعونا إلى قبول ما هو غير منتظر، ومقاومة كل معقولة تروم السّيطرة على كل شيء. إن عالماً شبيه بعالم "مرحبا بكم في غاتاسا" "Bienvenue à Gattaca"، وهو عالم أين يملك الأبوان القدرة على اختيار جنس والخصائص الجينية لأبنائهم، سيكون عالماً غير مرحب به في مقابل اللا متوقع واللا مرغوب⁹. وبعبارة أخرى إن هذا الاضطراب الملازم لإرادة خلق كل شيء والسّيطرة على الكل تجعلنا نفقد تواضعنا ومن ثم امتناننا لما منح لنا فضلاً عن انفتاح أفكارنا وسلوكنا نحو قبول ما هو مختلف غير مرغوب وغير متوقع.

أما البراءة فترتبط بمسؤولية تزداد على شاكلة دالة متغيرة ترتبط باختيار الخصائص الفيزيائية والذهنية لأبنائنا، حتى يكونوا قياساً إلى غيرهم الذين اختار أولياؤهم تحسين قدراتهم المستقبلية موضع اعتبار وحظوة. بل إن المشكلة تُطرح على نحو أعمق، ماذا سيقول الأطفال الذين يولدون عمياناً أو صماً لأبائهم؟ هل سيحاكمونهم بدافع أنهم لم يجهدوا أنفسهم للقيام باختبارات التحسين الجيني الذي كان بإمكانهم القيام به، وبعبارة أخرى من الواجب عليهم فعله كما لو أنهم لم يكونوا مؤمنين أو منفتحين على التنوع وما بالعالم من احتمالية؟ والواقع يعتقد "صندل" أن هذه المقاربة غير عادلة حتى لا نقول أنها غير مقبولة بشكل نهائي، بالرغم من أن البعض الآخر يجدونها أمراً مشروعاً؟

نصل الآن إلى التضامن، والمشكلة التي تطرحها الغاية منه مقلقة هي الأخرى وهي مرتبطة هنا أيضا بالبروميثية، بإرادة السيطرة التي تأخذ شيئا فشيئا مكان الانفتاح المتواضع والاعتزاز بعبأتنا الممنوحة لنا من طرف الطبيعة أو العناية الإلهية. ولیدعم حجته لجأ "صندل" إلى مثال شركات التأمين: كوننا نجهل المخاطر التي سنواجهها في المستقبل وتمس حياتنا، نحن كما الآخرين، نقبل جميعا دفع مبلغ تأمين مساو لما يدفعه غيرنا وينتفعون به أكثر منا (أو العكس). نحن نجهل المستقبل ولا نحيط به علما لكن الخطر هو ذاته بالنسبة للجميع، لذا نقبل مخاطرة أخرى وهي التأمين إذا لزم من أجل لا شيء. ولكن بمجرد أننا مسؤولون عما سيحدث لنا، مسؤولون عن عيوبنا وأمراضنا في المستقبل أو استئصالها، سيعوض التضامن بمسؤولية فردية أنانية.

زيادة على ذلك، أقام "صندل" نقده للإنسانية المتحولة داخل إطار سياسي، ففي مواجهة قوى الإنسان فوق الإنسانية ستكون العائلات بعيدة جداً عن العدالة والمساواة، تكلف الهندسة الوراثية الكثير، والاختلاف في الثروة سيكون أمراً غير مقبول أكثر من أي وقت مضى، لأنه ستصير بكل بساطة مسألة موت أو حياة. بل أكثر من ذلك، سنشهد الكثير من البشر الذين سيتعايشون في المستقبل كما كان الحال في الماضي في زمن Neandertal البشر البدائيين Cro-Magnon والإنسان، والأقوم إن هذا الوجود المشترك لن يكون سلمياً البتة، والأرجح إن دعاة الإنسانية المتحولة واعون بالمشكلة لأنهم يذهبون إلى الاعتراف بضرورة تدخل الدولة على نطاق ضيق حتى تتيح للجميع الولوج إلى ما بعد الإنسانية كما قال مثلاً "بوستروم": "ينبغي تجنب ظهور طبقة مفضلة من المجتمع تُحسِّن ذاتها وذريتها" بحيث نشهد في النهاية ظهور نوعين بشريين ليس ليهما الكثير من الأمور المشتركة عدا تاريخهما الذي يتقاسمانه. سيعيش أصحاب الامتياز لوقت طويل بصحة جيدة، ويتمتعون بالذكاء الخارق والجمال الفائق دون تشوهات، أما غير المفضلين سيبقون في المستوى الحالي على نحو يرفع عنهم كل احترام وتقدير للذات ويدفعهم نحو الغيرة. وهذا ما قاد "بوستروم" إلى التفكير في معايير سياسية تسمح بتقليص اللامساواة¹⁰.

زيادة على ذلك، وعلى المستوى الجيو-سياسي، يمكن أن تستخدم التكنولوجيات الجديدة لأغراض غير سلمية من طرف أنظمة شمولية أو منظمات إرهابية، فضلا عن أن مخرجات التحكم التقني ترمي -على المستوى الأنطولوجي- إلى الهيمنة على الكيان البيولوجي للإنسان تمهيدا لفصله عن ماهيته على نحو يقود إلى اغترابه عن ذاته الإنسانية كنتيجة أولى للتحكم التقني¹¹. والأمر سيان بالنسبة للجراحة التجميلية التي تطوّرت في بعض الدول وأصبحت متاحة مثل البرازيل، حتى إن الحديث عن السياحة الجينية "Tourisme Genetique" أضحي واقعا ويتطور باستمرار. كما ستطرح على المستوى الروحي، فضلا عن ذلك، مسألة معنى الحياة على نحو مخالف للماضي: ما معنى الحياة غير المحدودة، أو معنى حياة إنسان محروم كلياً من تناهيه؟

كل هذه القضايا تستحق الاهتمام والتفكير، وبالرغم من الاعتراضات التي ذكرناها، وأخرى يمكن أن تظهر في المستقبل، فإن الفرار من هذه الآفات الثلاث التي تُنْعَص حياة الناس منذ القديم -المرض والشيخوخة والموت- سيصير أمراً واقعا بل سينتصر دعائه دون شك على المقاومات المشروعة التي تثيرها. وبالجمل: بين كل محذور وكل

مسموح ينبغي ابتكار درب جديد، وحتى نبغى من الجيد أن نستبق ونتأمل بعمق الأخطار التي تطرحها التكنولوجيات الجديدة على الإنسانية، وهذا هو الدرب الذي تسلكه أخلاق الخلق الإلهي وتعلمنا الغوص في غياهبه.

ثالثاً- أخلاق الخلق الإلهي؛ نحو أخلاق أكثر اعتدالاً:

كلمة أخلاق الخلق الإلهي "Éthique Démiurgique" جديدة نسبياً على الأخلاق المعاصرة وأول من استخدمها هو البيولوجي وعالم الأخلاق "ألكس مورون" Alex Mauron (1951-) (لُيعبر عن موقف خاص تجاه الطب والتحسين، وعموماً تجاه تدخل الإنسان على نطاق واسع في النظام الطبيعي، وهو تدخل يدعو بالخلق الإلهي، فهدف هذه الأخلاق تتبع التقدم التكنولوجي خصوصاً في المجال البيوتي وتطبيقه في زيادة وتحسين قدرات الكائن الإنساني، وهي تقترح تأطير هذه التطورات بمعايير أخلاقية براغماتية وأخرى ذات إيجابيات عواقبية. لعلنا ندرك تبعاً لذلك أن أخلاق الخلق الإلهي تقف على طرفي نقيض مع المتخوفين من التقنية أو التقنو محافظين (فوكوياما وصندل وهابرماس) والايكولوجيين الراديكاليين عبر تقدسهم للطبيعة النقية الكاملة La Nature intacte سواء أكانت طبيعة الإنسان أو محيطه. فضلاً عن أنها لا تتقاسم إلى حد كبير التفاضلية المنهجية أو النزعة النضالية وحماس بعض أنصار الإنسانية المتحولة وما بعد الانسانيين تجاه التطورات التكنولوجية الجديدة.

ومن الناحية الاليتيمولوجية ترجع كلمة الخلق الإلهي إلى كلمة إله خالق Demiurge التي أُستخدِمت في العديد من الخطابات داخل الحضارة الغربية، فقد استخدمت بمعان عديدة منها المعنى العيني للكلمة اليونانية "حِرَفي" "صانع" Artisan demiurge وهو المعنى الذي غالباً ما طالب به الطَّبُّ الأبقراطي Hippocratique والغاليني Galénique. وهي، أي الكلمة تدشن فهما ذاتياً للطَّبِّ كتقنية Technê، بمعنى فن عقلائي يمكن تعلُّمُه أكثر منه ممارسة سحرية، والإله الخالق هو بهذا المعنى- كما صورته محاورة الطيماوس Timée لأفلاطون- حِرَفيٌّ أو صانع كوني في أصل نظام العالم. إن الإله الخالق في هاته الأساطير التي أثَّرت خلال القدامة وما بعدها هو إله أمر للواقع وليس خالقاً كما هو حال الآلهة اليهودية، وهو يتقاسم معها على الأقل العناية الإلهية التي تنعكس في تناغم الطبيعة. فضلاً عن ذلك، سيكون هذا اللاهوت الطبيعي المُلهم بالأفلاطونية الجديدة مؤثراً في القدامة المتأخرة، وكما أشار "باسكال بالين" "Pascal Balin" على لسان "غالين" "Galien" الذي أكَّد قائلاً: "ثمة بعض الأشياء مستحيلة على الطبيعة لا يحاولها الله مطلقاً، ولكنه يختار من بين الأشياء الممكنة ما هو أحسن"¹². بيد أنَّه ومنذ العصر القديم المتأخر ظهر تصور جديد للطبيعة أقل تشاؤمية مع الغنوصيين Gnostique. بالنسبة إليهم إن الطبيعة من إبداع وخلق إله هو أحياناً راع لكنه أخرق، وأحياناً أخرى يُسيء التَّصرف إلى درجة أن بعض الغنوصيين يشبهونه بالشيطان. هكذا، تستبدل الغنوصية فكرة الإله الكامل والمتعالي على نحو مطلق بإله صانع، بألوهية غامضة ومبهمه Antipathique هي من أوجدت علمنا الناقص والمتنقل بالمعاناة. والدارس لما جاء في هذه الأساطير لن يفوته ملاحظة أن هذه الأساطير تمنحنا شكلاً آخر من العدالة الإلهية بديلة عن النسخة المسيحية الأرثوذكسية؛ وليس يُفَسِّر ذلك سوى تأصيلهم للحظة بداية الشَّر؛ فالشر لم يبدأ مع خطيئة الإنسان الأوَّل، كلا، بل مع وخلال خلق العالم¹³.

هكذا حتى لا يقع الانزلاق إلى نظرة عدمية مغلقة لا بد من الإشارة إلى أن عبارة الإله الصانع أو أخلاق الخلق الإلهي ليست سوى استعارة تقود مدركاتنا فيما يتعلّق بدور الإنسان الصانع Homo Faber Artisan في إعادة قولبة الطبيعة بما فيها طبيعته الخاصة. لقد مَنَحَتْ له التطورات التي حققتها العلوم والتقنيات مجالا للفعل يتسع يوما بعد يوم، لكنه في المقابل يضعه أمام مسؤوليات أخلاقية تزداد ثقلا.

تنتهي المقارنة بين الإنسان ومختلف الآلهة الخالقة في التراث الفلسفي واللاهوتي إلى موقفين ترتبط مبادؤهما بشكل حيمي: الأول؛ يرفض كل إبداعية أو خلق. الثاني؛ يمنح لثبات الطبيعة قيمة أخلاقية موضوعية.

لنبادر ههنا في إزالة سوء فهم كثيرا ما أحاط بمصطلح النزعة الإبداعية Créationnisme حيث استكنه عادة بمعنى واسع، لأن الأمر لا يتعلّق بمعتقدات ضدّ تطورية مرتبطة بأديان الديانات السماوية أو بصورة من اللاهوت الطبيعي، ولكن بكل أشكال لاهوت الخلق بما في ذلك اللاهوت اللبرالي مثل "تيلهارد الشارداني" Teilhard de "chardin"¹⁴ (1881-1955). بيد أنه في وقت لاحق منذ "داروين" أضحي واضحاً أن الكون و خصوصاً علم الحي لا يعكس -، حسب عبارة ديموقريطس وجاك مونود- شيئاً سوى فعل الصدفة والضرورة. وهو لا يحتوي على أي شيء يشبه الخلق القصدي، سواء لأنه ليس خلقاً قصدياً، أو سواء لأن خالقه قد أزال بعناية كل علامة على أفعاله وما أحدثه. ومذاك أضحت تستند ألعاب اللغة على الخلق، سواء كانت انعكاساً لنزعة الخلق أو بالمعنى الواسع المستخدم هنا، ليست لديها أي مضمون ابستمولوجي. وهي ترجع إلى الاعتقاد الخالص لا إلى الشرعية الفريدة في النقاشات الأخلاقية داخل المجتمع اللبرالي، كل هذا يستبعد تصور الإنسان الصانع كخالق ثان Co-Créateur وهو دور تظهر دلالاته وقيمتها الأخلاقية على أنها مبهمة حتى داخل النقاشات اللاهوتية ذاتها. فالبنسبة لـ"راهنر" هي مشاركة الإنسان في حرية الخالق المطلقة، وهو تصور كثيراً ما انتقد من طرف المفكر اللاهوتي المحافظ "ليون كاس" Leon Kass (1939-): ينبغي أن يُؤطّر الإنسان جيداً بمعايير مغايرة لأن حريته ستقوده لا محالة إلى تهديم أساس طبيعته، أعني حريته ذاتها. لا مراء في أن التأويلات اللاهوتية لحرية الإنسان الصانع تغطي كل المواقف التي يمكن تخيلها، ابتداء من النزعة الطبيعية الأكثر توازناً إلى لا تحددية الحرية المتعالية في المواقف الفلسفية الوجودية والفينومينولوجية. ومن ثم لا يمدنا مفهوم الخلق بأي عون لرؤية واضحة حول المعيارية التي يمكن تطبيقها على تكنولوجيات الخلق الإلهي التي أضحي الإنسان قادراً عليها شيئاً فشيئاً. إن الإنسان الخالق، في علاقته مع الطبيعة وطبيعته الخاصة، هو وحده السيد مع قدراته المتنامية والتي هي محدودة في الوقت نفسه¹⁵.

وليس يفسر ذلك سوى انخراط أخلاق الخلق الإلهي ضمن توجّه مضاد لمفهوم الطبيعة المخترق بمعايير أخلاقية ليس إلا لأن أصلها يرجع إلى فعل خلق إلهي، بل العكس ليس في الطبيعة أي معيارية أخلاقية، وهذه الأخيرة ينبغي الكشف عنها وفك شفرتها سواء داخل النظام الطبيعي الموضوعي أو في خصوصية الذاتية الإنسانية. ينبغي للإنسان الخالق أن يتحول إلى ذاته ويهتم بحاجاته وتصورات الحياة السعيدة من أجل خلق معايير جوهرية وفلسفة سعادة إنسانية.

نافلة القول فيما يتعلق باستعارة الإله الخالق تأخذ الأخلاق الإلهية من التيمائوس فكرة صانع جِرْفِي يتصرف بعمق في الطبيعة دون أن يكون خالقاً لها. أما المفاهيم الغنوصية فتتعلق بمفهوم إله خالق ليس إله كاملاً ولا ماهر ولا شيطانا. إذ يعبر تغيير وضع الإله الخالق الإنسان عن لا تحديد أخلاقي مزدوج: الأول يتعلق بالنظام الطبيعي والثاني بالدوافع الإنسانية. تتحمل أخلاق الخلق الإلهي مسؤولية التقدم العلمي والتقني، وترفض إذاك نرجسية العجز ما قبل حدثي لتغيير عميق يمس المظاهر الرئيسة للواقع الطبيعي وبشكل خاص تلك المتعلقة بالعالم الحي. بيد أن موقف الخلق الإلهي لا يحصل على مكانته من القوة التي اجتاحتها الإنسانية تدريجياً دون خطة مسبقة أو توجيه في الأصل من موجود أعلى، ولا دليل استخدام يدخل في طبيعة الأشياء والإنسان. بل انه وبسبب أن العلوم توجد وتتطور تبعاً لديناميكيتها الخاصة كان موقف المحافظين "المتخوفين من التقنية" جذري على نحو جوهري¹⁶. ولما لم يكن في مستطاعنا طمس ما اكتشفه العلم ولا إنكار ما ابتكرته التقنية، وحدها المحرمات الظلامية العلانية، أعني تحريم البحوث داخل التوجهات التي من المفترض أنها إشكالية، قادرة على أن توفر للإنسانية الخيارات الصعبة التي أوجدتها، أو بعبارة أدق، ولّدها التقدم العلمي والتقني. خلافاً لذلك تعالج أخلاق الخلق الإلهي التجديد العلمي والتقني كظاهرة مكتسبة، ليس أكثر ولا أقل، وتأمل استخدام هذه القوة السخية استخداماً حذراً.

تتواءم أخلاق الخلق الإلهي، بوجه من الوجوه، مع بعض المواقف الفلسفية الأخلاقية السياسية، وعلى نحو خاص الليبرالية والنفعية Utilitarisme، فما يقرها من الليبرالية هو ما يدعوه "ج. هاريس" "J.Harris" الاعتدال بالديمقراطية، وهي ملائمة جداً خصوصاً حينما يود الأفراد استخدام التكنولوجيات الجديدة على ذواتهم والتي ترفضها الأغلبية المكونة للمجتمع، فمثلاً يعد اللجوء إلى تحسين القدرات جائز ومشروع قبلها بما انه لا يسبب ضرراً مادياً للغير. وإذا كانت بعض الفئات الفلسفية والدينية -فكرة ضرورة احترام الطبيعة الإنسانية لان الحياة الإنسانية هبة- تعارض هذا أو ذاك التدخل الموسوم بالخلق الإلهي فهي ليست مُقنعة إلا بالنسبة للذين ينخرطون في مثل هاته الفئات، أما الديمقراطية الليبرالية فهي منقادة ضرورة إلى التسامح مع الممارسات التي تشجبها، فبوسعها العمل على إقناع الرّاغبين في تحسين قدراتهم والتي تعتبرهم واقعين في خطأ أخلاقي، بيد أن أفعالها المشروعة تتوقف هنا. ففي غياب الإضرار بالآخر بالمعنى المحدد الذي أعطاه "جون استوارث مل" لمبدأ الضرر Principe du Tort أو اللا ضرر Non Nuisance فإن الشجب الأخلاقي وحده غير كاف لتبرير هذا الرفض. ولحظة ما ترفض أخلاق الخلق الإلهي كل قيمة أو معيار داخل نظام الطبيعة فهي تتموقع منطقياً إلى جوار الأخلاق العواقبية Ethique Consequentialiste وأيضاً النفعية وفلسفة السعادة "Eudemonism"، فتقدير عواقب تكنولوجيا ما على سعادة الأفراد هو همها الأول، وهي تتميز على الأقل عن النفعية في نقطة حاسمة، تصورها الفريد للواجب الذي نلفيه في النفعية الكلاسيكية لـ "جرمي بنتام" ومعاصريه. فالسعي إلى جلب قدر كبير من السعادة لعدد كبير من الناس ليس خيراً أو مرغوباً أو علامة على كل فعل فاضل فقط، بل انه وبكل بساطة واجب. يتموضع "هاريس" وبكل وضوح داخل هذا المنطق حينما يؤكد على أن تحسين القدرات واجب أخلاقي. في المقابل لا تتضمن أخلاق الخلق الإلهي أي واجب من هذا النوع، والأصل أنها ليست نظرية في الواجب أو الواجبات المطلقة، فالفلسفة العملية التي تفترضها

هي شكل من أشكال التفكير الحذر أو نظرية فعل فاضل داخل سياق محدد براغماتيا على نحو جوهري¹⁷. ولنبادر حالا إلى القول إن تقييم تكنولوجيات الطب التحسيني وتكنولوجيات أخرى لديها أثر عميق في تمثلات النظام الطبيعي الكامن في قلب أخلاق الخلق الإلهي. فسلوكها هذا ينحو نوعا ما منحى المقاربة الأخلاقية في البيوايتيقا التي أعيد اكتشافها وتجديدها في الثمنيينات من طرف "أ. جونسون" و"س. تولمين"، والتي طورت أساسا فيما يتعلق بالتحليل الأخلاقي في الحالة العيادية.

قريبا من هاته الروح البراغماتية تتميز أخلاق الخلق الإلهي برفض كل حكم أخلاقي كلي مسبق حول التقدم البيوطي وتطبيقاته المحسنة القابلة للتطبيق على الإنسان. ثمة سببين لهذا الرفض، الأول يتمسك بانسجامه مع البراغماتية الفلسفية، أما الثاني فيعبر عن تمسكه بفردية الحالة التي تم تمديدها إلى تكنولوجيا الخلق الإلهي، وترى أن التصنيفات التي توطر الجدل العام والنقاشات البيوايتيقية هي شاملة جدا لتثير الاستحسان والقبول أو الرفض والإنكار. وانطلاقا من وجهة النظر هذه أن نكون مع أو ضد الهندسة الوراثية والنانوتكنولوجيا والبيوتكنولوجيا الصناعية ليس له أي معنى لأنها وحدها التطبيقات الخاصة والأكثر عينية لهذا الاندماج غير المتجانس للعلوم والتقنيات التي لديها وضعاً محدداً قابلاً للتقييم لا باعتباره مجرد تطبيق آلي لمبدأ مجرد أو حكم سابق¹⁸.

الخاتمة:

تموضع أخلاق الخلق الإلهي كأخلاق معتدلة بين حجري رحي، بين تفاؤلية الإنسانية المتحولة التي تدعو إلى صناعة تاريخ جديد أو عصر مختلف تماما عما عهدناه، عصر فاعل جديد مهجن إنسان آلة يتمتع بقدرات عليا فوق إنسانية إذ يتحول الإنسان شيئا فشيئا إلى آلة، والآلة تتحول تدريجيا إلى إنسان. وبين تشاؤمية المحافظين الذي يدافعون عن الطبيعة وضرورة احترامها، بين هذا وذاك تفتح أخلاق الخلق الإلهي على مخرجات التكنولوجيات الجديدة انفتاحا حذرا يحافظ على مكتسبات الطبيعة الإنسانية دون إعاقه عجلة التطور.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية

- نورة بوحناش، (2017)، البيوايتيقا والفلسفة، من الانسان الفائق الى الانسان المتركي، المؤسسة العربية للفكر والابداع، لبنان.

المراجع باللغة الفرنسية

- Couturier Béatrice Jousset , (2016), Le Transhumanisme, faut-il avoir peur de l'avenir ? Eyrrolles.
- Gilber. Hottois, J. N. Missa , (2016), Encyclopédie du trans/ posthumanisme, l'humain et ses préfixes, J. Vrin , paris.
- Luc Ferry, (2016), la révolution transhumaniste , Paris: Editions Plon.

المقالات

- لوك فيري: ثورة الإنسانية الفائقة، (2017)، ترجمة هشام معافة، يونس رابح، مجلة دراسات فلسفية، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، العدد العاشر.

*- الإنسانية المتحوّلة: مصطلح حديث نسبياً راج استعمله في الولايات المتحدة الأمريكية وأنجلترا، استخدمه "ماكس مور" "max more" (1964-) من أكبر رواد هذا الاتجاه- للدلالة على فلسفة جديدة تقوم على العقل اشتهرت بوصفها حركة ثقافية تؤكد على إمكانية -أو الرغبة- في التحسين الجوهري للوجود الإنساني بواسطة العلم والتقنية. وهي كما نقرأها في "موسوعة ما بعد الإنسانية" حركة فلسفية بمثابة لحظة انتقالية نحو طور لاحق لتطور النوع الإنساني، تتخذ كنقطة انطلاق لها النزعة الإنسانية التقليدية مضافة إليها تقنيات تحسين القدرات الفيزيائية والمعرفية بهدف تجاوز الحدود الطبيعية والبيولوجية والمعرفية. وإذا كان من الصعب تتبع تكوين هذه الحركة فالكثير من ممثلي الإنسانية المتحوّلة مثل "نيك بوستروم" "NickBostrom" يرجعون أصولها الأيديولوجية إلى بعض الأساطير القديمة وعلى نحو خاص ملحمة "جلجامش" "Gilgamesh". وهي تروي، منذ أكثر من ألفيتين، قصة الدرب الذي سلكه ملك "أورك" "Uruk" الأسطوري بحثاً عن الخلود، بعد أن وجد نفسه في مواجهة محدودية قدراته وقوته في أعقاب وفاة رفيقه "اوكيدي" "Enkidu".

أما أول من استخدم كلمة "الإنسانية المتحوّلة" فهو "جوليان هكسلي" شقيق الدوس هكسلي" مؤلف "عوالم رائعة" "meilleur des mondes" .. ويعني عنده تعالي الإنسان على الإنسان ذاته، بيد أنه يتخذ الآن معنى آخر يعبر عن مفهوم مغاير وهو "الانتقال" "" نحو طور لاحق هو ما بعد الإنسانية. ويرمز لها بـ "H. H+" تعني الإنسانية + تعني الزيادة "augmentation"، ومؤداها معا تحسين وجودنا الإنساني، أن نعيش لمدة أطول ونتمتع بقوة أكبر ومعارف أوسع وذكاء وسعادة كبيرين.

Gilber. Hottois, J. N. Missa : Encyclopédie du trans/ posthumanisme, l'humain et ses préfixes, J. Vrin , paris, 2015, p 163- 165.

¹ Luc Ferry : La révolution transhumaniste, comment la technomedecine et l'uberisation du monde vont bouleverser nos vies , éditions Plon, 2016, p. 10.

² Ibid. p. 10- 12.

³ G. Hottois. J.N. Missa et L.Perbal :Encyclopédie du trans/ posthumanisme, L'humain et ses préfixes, Op. Cit, p. 328.

⁴ Ibid, p 329.

⁵ Ibidem

⁶ لوك فيري: ثورة الإنسانية الفائقة، ترجمة هشام معافة، يونس رابح، مجلة دراسات فلسفية، العدد العاشر، الجزائر، نوفمبر 2017، ص 173.

⁷ Luc Ferry : la révolution transhumaniste ; Op. Cit, p 104.105.

⁸ Ibid, p 118.

⁹ Ibid, p 122.

¹⁰ Ibid, p 125- 126.

¹¹ نورة بوحناش: البيواتيقا والفلسفة، من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، الطبعة الأولى، 2017، ص 19.

¹² G. Hottois, J. N. Missa : Encyclopédie du trans/ posthumanisme, l'humain et ses préfixes, Op. Cit, p 35.

¹³ Encyclopédie du trans/ posthumanisme, Op. Cit, p 35.

¹⁴ حاول تيلهارد إعادة التوفيق بين بين العلم والإيمان معتقداً أن التطور يفسر الوحي، أما الوحي فيدفع التطور، ومن خلال تحديد مفهومه عن الأوميغا Oméga وهي مقارنة تنبني على ضرورة إقامة وحدة تسمح للإنسان بصياغة معادلة تجمع العقائد الإيمانية المتطلبات العلمية. للاستزادة حول الموضوع ينظر:

Béatrice Jousset-Couturier : le transhumanisme, Editions Eyrolles, Paris, 2016. P. 103.

¹⁵G. Hottois. J.N. Missa et L.Perbal :Encyclopédie du trans/ posthumanisme, L'humain et ses préfixes Op. Cit., 36. 37.

¹⁶ Ibid. p 37.

¹⁷ Ibid. p 38.39.

¹⁸ Ibid. p p 39.40.